من أسرار الإيجاز وصوره في القرآن
دراسة بلاغية

الدكتور أشرف حسن
الأستاذ المساعد بقسم الأدب والنقد
بجامعة المدينة العالمية

ملخص البحث:

الإيجاز والحذف، من أقسام البلاغة العربية الغنية بمدلولها القوية في معناها التي إن ملك ناصية توظيفها أحد حكم له بالبلاغة، حتى عد البعض: البلاغة الإيجاز.

"قال معاوية لصحار بن عياش العبدي وهو علامة نسابة: ما تعدون البلاغة فيكم؟ قال: الإيجاز؛ قال له معاوية: وما الإيجاز؟ قال صحار: أن تجيب فلا تبطئ، وتقول فلا تخطئ، قال له معاوية مستدركًا عبارته، ألا تبطئ ولا تخطئ، وذكر في موضع آخر قول ابن الأعرابي: عن المفضل الضبي: قلت لأعرابي منّا: ما البلاغة؟ قال: الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل"[1].

ومن خلال هذا البحث سأوضح معاني الحذف وأقسامه عند علماء البلاغة، ثم بعضًا من صور الحذف في آيات الذكر الحكيم، مسقطًا هذا الكلام على آيات من كتاب الله تعالى موضحًا ومبينًا ما فيها من أسرار بلاغية، تميز بها القرآن الكريم ربما لم يشر إليها بعض البلاغيين، وإن كانت منثورة بين المفسرين، كما سأناقش بعضًا من تلك الإلماحات المعجزة للإيجاز في نماذج الآيات التي سأوردها، مقسمًا البحث إلى مبحثين إيجاز بالقصر وإيجاز بالحذف.

الكلمات المفتاحية:

تعريف الإيجاز- إيجاز القصر- إيجاز الحذف- صور من إيجاز القصر- صور من إيجاز الحذف.

(1) الجاحظ، أبو عثمان عمرو ابن بحر في كتابه البيان والتبيين، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت لبنان: (1/ 74-75).

المقدمة

لا شك أن البلاغة العربية بأقسامها المعاني والبيان والبديع، تعد من أهم أسباب إيصال المعاني واختيار المتكلم لنوع من الكلام ليعبر به عما بداخله يدل دلالة لا شك فيها على مدى تملكه لناصية البيان وحسن التعبير، وإذا كان الإيجاز نوعًا من أنواع علم المعاني وهو قرين البلاغة وموضح معناها عند بعض البلاغيين كان لا بد أن نتناول هذا القسم ببحث مستقل، نوضح فيه مراتب الإيجاز وأنواعه عند البلاغيين، ثم نلقي الضوء على بعض الآيات القرآنية التي سجلت نوعي الإيجاز- بالقصر، والحذف- أبهى صورة وأجمل لفظ؛ لندلل على أن إعجاز القرآن الكريم، ناحية منه تعتمد على اختيار اللفظ ووضعه في موضعه ولاسيما إذا كان هذا اللفظ موجزًا.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في محاولة الوصول لجانب من جوانب إعجاز القرآن الكريم، وهو جانب الإيجاز، وسيحاول البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1- ماذا قال علماء البلاغة في الإيجاز؟

2- هل وجد الحذف بأنواعه في القرآن الكريم؟

3- ما أهم صور الإيجاز بالقصر في القرآن الكريم؟

4- ما أهم صور الإيجاز بالحذف في القرآن الكريم؟

5- بم امتاز الإيجاز في القرآن الكريم؟

أهداف البحث:

سيحاول البحث جاهدًا بيان العناصر الآتية:

1- قول علماء البلاغة في توضيحهم لتعريف الإيجاز وبيان أنواعه.

2- إظهار صور الحذف الموجودة في القرآن الكريم.

3- بيان أهم صور الإيجاز الحذف بالقصر في القرآن الكريم.

4- بيان أهم صور الإيجاز بالقصر في القرآن الكريم.

5- اظهار ما امتاز به القرآن الكريم في الإيجاز الذي هو من أسرار إعجازه.

الدراسات السابقة:

1- بلاغة الإيجاز في الشعرية العربية، رسالة ماجستير للطالب يوسف بديدة، إشراف: د. محمد منصوري، لنيل درجة الماجستير من كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة الحاج لخضير- باتنه، بالجمهورية الجزائرية، يتفق هذا البحث مع بحثي في تناولهما للإيجاز، ويختلفان في أن بحثي يتناول الإيجاز في القرآن وبحثه يتناول الإيجاز في الشعر.

2- الايجاز في النصف الأول من صحيح الإمام البخاري، دراسة بلاغية، للباحث خوجلي النور عبد الحميد، إشراف الدكتور/ حمد محمد عمار الحبر، السودان، جامعة أم درمان، كلية الدراسات العليا، كلية اللغة العربية قسم الأدب والنقد، لنيل درجة الماجستير، اتفق كل من هذا البحث وبحثي في دراسة الإيجاز واختلفا في أن بحثي تناول بعض آيات القرآن الكريم، ونقول البلاغيين وهذا البحث تناول النصف الأول من صحيح البخاري.

3- ويعد كل بحث تناول علم المعاني من الدراسات السابقة لهذا البحث بصورة عامة.

منهج البحث:

يعالج هذا البحث مادته بواسطة المنهج الوصفي الاستنباطي[1] التحليلي، لبعض آي الذكر الحكيم.

(1) وهو طريقة لوصف الموضوع المراد دراسته من خلال منهجية علمية صحيحة وتصوير النتائج التي يتم التوصل إليها على أشكال رقمية معبرة يمكن تفسيرها [الجديلي، ربحي عبد القادر الجديلي، في كتابه، مناهج البحث العلمي: ص 25.].

هيكل البحث:

وسينتظم البحث في: مقدمة وتمهيد، ومبحثين وخاتمة وأهم النتائج، وأهم المصادر والمراجع.

المقدمة: مشكلة البحث، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وهيكل البحث.

وأما التمهيد: الإيجاز في القرآن الكريم.

والمبحث الأول: إيجاز القصر، وصوره في القرآن الكريم.

والمبحث الثاني: إيجاز الحذف، وصوره في القرآن الكريم.

والخاتمة: أهم النتائج وتوصيات البحث.

وثبت لأهم المصادر والمراجع.

التمهيد: الإيجاز في آيات القرآن

الإيجاز ويقال الحذف، ويقال له: الإشارة أيضًا. يقال: "أوجز في كلامه، إذا قصره، وكلام وحيز، أي: قصير، ومعناه في اصطلاح علماء البيان: هو اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل، وأصدق مثال فيه قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [1]، فهاتان الكلمتان قد جمعتا معاني الرسالة كلها، واشتملت على كليات النبوة، وأجزائها". [2]

وهو من أعظم فصول البلاغة؛ لأنه يدل على مدى تمكن صاحب في ناصية البيان، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، وما وجد منه في تلك الآيات لا يستطيع مفكر أو كاتب أن يغفله، ونسأل الله تعالى أن يجعل لنا من هذا النظر نصيبًا نؤجر عليه.

قال أصحاب الإيجاز: "الإيجاز: قصور البلاغة على الحقيقة، وما تجاوز مقدار الحاجة، فهو فضل داخل في باب الهذر والخطل، وهما من أعظم أدواء الكلام"[3].

"وقيل لبعضهم: ما البلاغة؟، فقال: الإيجاز، قيل: وما الإيجاز؟، قال: حذف الفضول، وتقريب البعيد"[4].

(1) الحجر: 94.

(2) العلوي، السيد الإمام يحيى بن حمزة بن على بن إبراهيم العلوي اليمني، في الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز، مراجعة/محمد عبد السلام شاهين، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1415هـ، 1995م. ص 245.

(3) طبانة، بدوي طبانة، في معجم البلاغة العربية: ص 712، طبعة دار المنارة للنشر والتوزيع جدة، دار ابن حزم بيروت، الطبعة الرابعة سنة 1418 هـ، 1997 م.

(4) السابق: ص 712.

المبحث الأول: إيجاز القصر

في نوعي الإيجاز البلاغي تحدث الكثير من العلماء[1] والإيجاز قسمان: " إيجاز قصر، وإيجاز حذف"[2].

أولًا: إيجاز القصر:

هو الوجيز بلفظه، فقال الشيخ بهاء الدين: "الكلام القليل إن كان بعضًا من الكلام أطول منه، فهو إيجاز حذف، وإن كان كلامًا يعطي معنى أطول منه، فهو إيجاز قصر. وقال بعضهم: إيجاز القصر هو تكثير المعنى بتقليل اللفظ"[3].

قيل في التبيان: "الإيجاز الخالي من الحذف ثلاثة أقسام: أحدها: إيجاز القصر، وهو أن يقصر اللفظ على معناه، كقوله: " إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ"، إلى قوله: " وأْتُونِي مُسْلِمِينَ"[4]، جمع في أحرف: العنوان، والكتاب، والحاجة؛ الثاني: إيجاز التقدير، وهو أن يقدر معنى زائدًا على المنطوق، ويسمى بالتضييق أيضًا وبه سماه بدر الدين بن مالك في المصباح؛ لأنه نقص من الكلام ما صار لفظه أضيق من قدر معناه، نحو: ﴿فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ [5]، أي: خطاياه غفرت، فهي له لا علية. الثالث: الإيجاز الجامع، وهو أن يحتوي

(1) السيوطي، الحافظ جلال الدين السيوطي، في الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة المكتبة العصرية، بمصر: (163/3، وما بعدها)، وعبد القاهر في دلائل الإعجاز، والجياني، محمد بن عبد الملك بن مالك الطائي الجياني أبو عبد الله في الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة، تحقيق: د. محمد حسن عواد، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ، باب الإيجاز، وابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، في المخصص، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1417هـ 1996م، الطبعة الأولى، تحقيق خليل إبراهم جفال، ذكره في السفر الثالث عشر من كتاب نعوت الحديث، في الإيجاز والحسن والقبح والطول. وغيرهم من العلماء، وصاحب كتاب عروس الأفراح في شروح تلخيص المفتاح، وهو بهاء الدين أحمد بن على بن عبد الكافي السبكي الشافعي، أحد علماء القرن الثامن، توفي سنه 773 هـ.

(2) السيوطي، الحافظ جلال الدين السيوطي، في الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة المكتبة العصرية، بمصر: (163/3).

(3) السابق: (164/3).

(4) النمل: 30، 31.

(5) البقرة: 275.

اللفظ على معان متعددة نحو: ﴿إِنَّ اللهَ يَأمُرُ بِالعَدْلِ والإِحْسَانِ﴾[1] الآية، فإن العدل هو الصراط المستقيم المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط المرمى به إلى جميع الواجبات في الاعتقاد والأخلاق والعبودية".[2] [3]، وفي الآية مقابلة بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأمر بالمعروف فيه جماع كل خير، والنهي عن المنكر فيه نهي عن أي شر وبضدها تتمايز الأشياء.

إيجاز القصر في آيات القرآن:

إن المتتبع لآيات الذكر الحكيم -بشكل عام- يجد أن إيجاز القصر ظهر جليًا في أبهى حلله، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [4].

إن الناظر إلى قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، وقوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، يجد أن في الآية إيجازًا بالقصر؛ إذ أصل مادة الإحسان من الحسن، وهي عبارة تشمل الإحسان قولًا وطاعة وإرضاءً، وغير ذلك، ولم يعبر عنها بلفظ مفصل وإنما استخدم اللفظ الدال على عبارات ومعان كثيرة.

[و]" الحسن: عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه، وذلك ثلاثة أضرب: مستحسن من جهة العقل، ومستحسن من جهة الهوى، ومستحسن من جهة الحس. والحسنة: يعبر بها عن كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، والسيئة تضادها، وهما من الألفاظ المشتركة. والفرق بين الحُسْن والحَسَنة والحُسنَى: أن الحُسن يقال في الأعيان والأحداث وكذلك الحَسَنة إذا كانت وصفًا وإذا كانت اسمًا فمتعارف في الأحداث، والحسنى

(1) النحل: 90.
(2) الإتقان: (3/163-164). أدخل بعض العلماء الإشارة، والتضمين، الحصر. وغيرها.
(3) الإتقان: (3/163-180).
(4) البقرة: 83.

لا يقال إلا في الأحداث دون الأعيان، والحُسْن أكثر ما يقال في تعارف العامة في المستحسن بالبصر، يقال:

رجل حسن وحُسَّانٌ وامرأةٌ حسناءُ وحُسَّانَةٌ"[1].

وقوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [2].

في قوله: ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ ﴾ جمع بين الإنكار عليهم في قولهم على من لم يشهدوه، وتعليمهم ما جهلوه، وفيه من الإيجاز والإكمال على حد قول الزمخشري مالا ينكر.

"علم السامع موقع الإنكار، ثم يعلم أن قول أبناء يعقوب: "نعبد إلهك" لم يكن من دعوى اليهود حتى يدخل في حيز الإنكار؛ لأنهم لو ادعوا ذلك لم ينكر عليهم إذ هو عين المقصود من الخبر، ولم يكن داعٍ لجعل "أم" متصلة بتقدير محذوف قبلها تكون هي معادلة له، كأن يقدر: أكنتم غائبين إذ حضر يعقوب الموت أم شهداء؟، وأن الخطاب لليهود أو للمسلمين، والاستفهام للتقرير، ولا لجعل الخطاب في قوله: ﴿كنتم﴾ للمسلمين على معنى جعل الاستفهام للنفي المحض، أي: ما شهدتم احتضار يعقوب، أي: على حد ﴿وما كنت بجانب الغربي﴾ [3]، وحد ﴿وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم﴾[4]، كما حاوله الزمخشري[5] ومتابعوه، وإنما حداه إلى ذلك قياسه على غالب مواقع استعمال أمثال هذا التركيب مع أن موقعه هنا موقع غير معهود، وهو من الإيجاز والإكمال؛ إذ جمع الإنكار عليهم في التقول

(1) الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني" ت 502 هـ"، المفردات في غريب القرآن، طبعة دار الخلق للتراث بمصر، بدون تأريخ: ص 118، مادة: حسن.

(2) البقرة: 133.

(3) القصص: 44.

(4) آل عمران: 44.

(5) الزمخشري، محمود بن عمر الزمخشري، في: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، طبعة دار الريان للتراث بالقاهرة، ودار الكتب العلمية بيروت، الثالثة سنة 1407 هـ، 1987 م. رتبه وضبطه وصححه/مصطفى حسين أحمد: (193/1).

على من لم يشهدوه، وتعليمهم ما جهلوه، ولأجل التنبيه على هذا الجمع البديع أعيدت "إذ" في قوله: ﴿إذ قال لبنيه﴾؛ ليكون كالبدل من ﴿إذ حضر يعقوب الموت﴾، فيكون مقصودًا بالحكم أيضًا"[1].

وقوله: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾"[2].

الإيجاز في قوله: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾، أي: إذا ما مات الأب المولود له، وورثه من لا يستحق الميراث، فعليه -أي: الوارث- رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وفيه من المعاني الدالة على إيجاز القصر الكثير.

"وقد علم من تسمية المفروض عليه الإنفاق والكسوة وارثًا أن الذي كان ذلك عليه مات، وهذا إيجاز، والمعنى: فإن مات المولود له فعلى وارثه مثل ما كان عليه فإن على الواقعة بعد حرف العطف هنا ظاهرة في أنها مثل على التي في المعطوف عليه، فالظاهر أن المراد وارث الأب، وتكون "أل" عوضًا عن المضاف إليه، كما هو الشأن في دخول "أل" على اسم غير معهود ولا مقصود جنسه"[3]. "وقيل: هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه، وقيل: المراد وارث الأب، وهو الصبي نفسه، وأنه إن مات أبوه وورثه وجبت عليه أجرة رضاعه في ماله إن كان له مال، فإن لم يكن له مال أجبرت الأم على إرضاعه"[4].

وقوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا

(1) ابن عاشور، محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، طبعة دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، بدون تأريخ: (731/1).

(2) البقرة: 233.

(3) التحرير والتنوير: (435/2).

(4) الكشاف: (280/1).

تَعُولُوا﴾ [1].

"اشتمال هذه الآية على كلمة "اليتامى" يؤذن بمناسبتها للآية السابقة، بيد أنّ الأمر بنكاح النساء وعددهنّ في جواب شرط الخوف من عدم العدل في اليتامى ممّا خفي وجهُه على كثير من علماء سلف الأمة؛ إذ لا تظهر مناسبة، أي: ملازمة بين الشرط وجوابه، واعلم أنّ في الآية إيجازًا بديعًا؛ إذ أطلق فيها لفظ اليتامى في الشرط، وقوبل بلفظ النساء في الجزاء، فعلم السامع أنّ اليتامى هنا جمع يتيمة وهي صنف من اليتامى في قوله السابق: ﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾ [2]. وعلم أنّ بين عدم القسط في يتامى النساء، وبين الأمر بنكاح النساء، ارتباطًا لا محالة وإلاّ لكان الشرط عبثًا. وبيانه: . هذه اليتيمة تكون في حجر وليّها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها، فيريد وليّها أن يتزوجها بغير أن يُقسط في صداقها، فلا يعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنُهوا أن ينكحوهنّ إلاّ أن يقسطوا لهنّ. وعليه فيكون إيجاز لفظ الآية اعتدادًا بما فهمه الناس ممّا يعلمون من أحوالهم، وتكون قد جمعت إلى حكم حفظ حقوق اليتامى في أموالهم الموروثة حفظ حقوقهم في الأموال التي يستحقّها البنات اليتامى من مهور أمثالهنّ، وموعظة الرجال بأنّهم لما لم يجعلوا أواصر القرابة شافعة النساء اللاتي لا مرغِّب فيهنّ لهم فيرغبون عن نكاحهنّ، فكذلك لا يجعلون القرابة سببًا للإجحاف بهنّ في مهورهنّ"[3].

وقوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾ [4].

وعلم من قوله: "يرثها" أنّ الأخت إن توفّيت ولا ولد لها يرثها أخوها، والأخ هو الوارث في هذه الصورة، وهي عكس التي قبلها. فالتقدير: ويرث الأختَ امرؤ إن هلكت

(1) النساء: 3.
(2) النساء: 2.
(3) التحرير والتنوير: (222/3، 223).
(4) النساء: 176.

أخته ولم يكن لها ولد. وعلم معنى الإخوة من قوله: ﴿وله أخت﴾، وهذا إيجاز بديع، ومَع غاية إيجازه فهو في غاية الوضوح، فلا يشكل بأنّ الأخت كانت وارثة لأخيها فكيف عاد عليها الضمير بأن يرثها أخوها الموروث، وتصير هي موروثة؛ لأنّ هذا لا يفرضه عالم بالعربية، وإنَّما يُتوهّم ذلك لو وقع الهلك وصفًا لامرئ، بأن قيل: المرء الهالك يرثه وارثه وهو يرث وارثه إن مَات وارثه قبله. والفرق بين الاستعمالين رشيق في العربية[1].

وقوله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [2].

هذه الآية من أحسن القصص؛ إذ بلغت درجة الإعجاز والإيجاز في جمعها لقصة يوسف– عليه السلام– من تحقيق الرؤيا وما سبقها من أحداث.

وتلك الآية من الله تعالى على لسان يوسف– عليه السلام– فيها إيجاز وأشار بها: "إلى مصائبه السابقة من الإبقاء في الجبّ، ومشاهدة مكر إخوته به، بقوله: "من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي"، فكلمة "بعد" اقتضت أن ذلك شيء انقضى أثره، وقد ألم به إجمالًا اقتصارًا على شكر النعمة، وإعراضًا عن التذكير بتلك الحوادث المكدرة للصلة بينه وبين إخوته فمرّ بها مرّ الكرام وباعدها عنهم بقدر الإمكان؛ إذ ناطها بنزغ الشيطان"[3].

و"بعد أن نزغ، أي: أفسد. وأسند النزغ إلى الشيطان؛ لأنه الموسوس. وذكر هذا القدر من أمر إخوته؛ لأنّ النعمة إذا جاءت إثر شدة وبلاء كانت أحسن موقعًا"[4].

وقوله: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ [5].

(1) التحرير والتنوير: (66/4، 67).

(2) يوسف: 100.

(3) التحرير والتنوير: (57/7).

(4) أبي حيان، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، في البحر المحيط، طبعة دار الفكر بيروت سنة 1413هـ. طبعة دار الفكر بيروت لبنان سنة 1413 هـ، 1992 م: (328/6، 329).

(5) مريم: 44.

والمقصود من عبادة الشيطان اتباع أوامره من عبادة الأصنام وغيرها، عبر عنها بذلك إظهارًا لفسادها وضلالها. " فإن نسبة الضلال والفساد إلى الشيطان مقررة في نفوس البشر، ولكن الذين يتبعونه لا يفطنون إلى حالهم، ويتبعون وساوسه تحت ستار التمويه مثل قولهم: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾ [1]، ففي الكلام إيجاز؛ لأن معناه: لا تعبد الأصنام؛ لأن اتخاذها من تسويل الشيطان للذين اتخذوها ووضعوها للناس، وعبادتَها من وساوس الشيطان للذين سنّوا سنن عبادتها ومن وساوسه للناس الذين أطاعوهم في عبادتها، فمن عَبَد الأصنام فقد عبد الشيطان وكفى بذلك ضلالًا معلومًا"[2].

وقوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [3].

قوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ إيجاز بديع، وذلك من حيث الاكتفاء بتعب الأم وبرها لذلك، وقياس تعب الأب عليه؛ ليفهم السامع أن الوصاية بهما معًا.

"والوهْن: . الضعف وقلة الطاقة على تحمل شيء. وانتصب "وَهْنًا" على الحال من "أمّه" مبالغة في ضعفها حتى كأنها نفس الوهْن، فإن حمل المرأة يقارنه التعب من ثقل الجنين في البطن، والضُعفُ من انعكاس دمها إلى تغذية الجنين. وجملة: "حملته أمه وهنًا على وهن" في موضع التعليل للوصاية بالوالدين؛ قصدًا لتأكيد تلك الوصاية؛ لأن تعليل الحكم يفيده تأكيدًا، ولأن في مضمون هذه الجملة ما يثير الباعث في نفس الولد على أن يبرّ بأمه ويستتبع البرّ بأبيه، وإنما وقع تعليل الوصاية بالوالدين بذكر أحوال خاصة بأحدهما، وهي الأم اكتفاء بأن تلك الحالة تقتضي الوصَاية بالأب أيضًا للقياس، فإن الأب يلاقي مشاقّ وتعبًا في القيام على الأم لتتمكن من الشغل بالطفل في مدة حضانته، ثم هو يتولى تربيته والذبّ عنه حتى يبلغ أشدّه؛ فلما ذكرت هنا الحالة التي تقتضي البر بالأم من الحمل والإرضاع

(1) الزخرف: 23.
(2) التحرير والتنوير: (118/8).
(3) لقمان: 14.

كانت منبهة إلى ما للأب من حالة تقتضي البرَّ به على حساب ما تقتضيه تلك العلة في كليهما قوة وضعفًا؛ وحصل من هذا النظم البديع قضاء حق الإيجاز"[1].

وقوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [2].

في قوله: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ إيجاز بديع ونظم جميل، ومعنى أنيق فتأمل!.

"ومن بديع معنى الآية جمع مدة الحمل إلى الفصال في ثلاثين شهرًا لتُطابق مختلف مدد الحمل، إذ قد يكون الحمل ستة أشهر وسبعة أشهر وثمانية أشهر وتسعة، وهو الغالب، قيل: كانوا إذا كان حمل المرأة تسعة أشهر –وهو الغالب– أرضعتْ المولود أحد وعشرين شهرًا، وإذا كان الحمل ثمانية أشهر أرضعت اثنين وعشرين شهرًا، وإذا كان الحمل سبعة أشهر أرضعت ثلاثة وعشرين شهرًا، وإذا كان الحمل ستة أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهرًا، وذلك أقصى أمد الإرضاع، فعوضوا عن نقص كل شهر من مدة الحمل شهرًا زائدًا في الإرضاع؛ لأن نقصان مدة الحمل يؤثر في الطفل هزالًا؛ ومن بديع هذا الطيّ في الآية: أنها صالحة للدلالة على أن مدة الحمل قد تكون دون تسعة أشهر، ولولا أنها تكون دون تسعة أشهر لحددته بتسعة أشهر؛ لأن الغرض إظهار حق الأم في البر بما تحملته من مشقة الحمل، فإن مشقة مدة الحمل أشدّ من مشقة الإرضاع، فلولا قصد الإيماء إلى هذه الدلالة، لكان التحديد بتسعة أشهر أجدرَ"[3].

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [4].

قوله: ﴿لما قالوا﴾، إيجاز بديع؛ إذ المقصود بما قالوه من لفظ الظهار، وتحريم ما أحله الله

(1) التحرير والتنوير: (157/10، 158).
(2) الأحقاف: 15.
(3) التحرير والتنوير: (30/12).
(4) المجادلة: 3.

من الاستمتاع بالزوجة وجعلها في التحريم كالأم. والمراد: ﴿بما قالوا﴾ ما قالوا بلفظ الظهار، وهو ما حَرموه على أنفسهم من الاستمتاع المفاد من لفظ: أنتِ عليّ كظهر أمي؛ لأن: أنت عليّ، في معنى: قربانك عليّ كمِثله من ظهر أمي. ففعل القول في هذا وأمثاله ناصبُ لمفرد لوقوعه في خلاف جملة مقولة، وإيثار التعبير عن المعنى الذي وقع التحْريم له، فلفظ الظهار بالموصول وصلته هذه إيجاز وتنزيه للكلام عن التصريح به، فالمعنى: ثم يرومون أن يرجعوا للاستمتاع بأزواجهم بعد أن حرموه على أنفسهم، وفهم من قوله: ﴿ثم يعودون لما قالوا﴾ أن من لم يُرِد العود إلى امرأته لا يخلو حالهُ: فإما أن يريد طلاقها فله أن يوقع علَيها طلاقًا آخر؛ لأن الله أبطل أن يكون الظهار طلاقًا، وإما أن لا يريد طلاقًا ولا عودًا، فهذا قد صار ممتنعًا من معاشرة زوجه مضِرًّا بها فله حكم الإيلاء"[1].

(1) التحرير والتنوير: (17/13).

المبحث الثاني: الإيجاز بالحذف

القسم الثاني من قسمي الإيجاز: الحذف:

"ذكر أسبابه: منها: مجرد الاختصار والاحتراز عن البعث؛ لظهوره. ومنها: التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف، وأن الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهم، وهذه هي فائدة باب التحذير والإغراء. ومنها: التفخيم والإعظام؛ لما فيه من الإبهام، قيل: إنما يحسن الحذف؛ لقوة الدلالة عليه، أو يقصد به تعديد أشياء، فيكون في تعدادها طول وسآمة، فيحذف ويكتفى بالحال عن ذكرها، ولهذا القصد يؤثر في المواضع التي يراد بها التعجب والتهويل على النفوس. ومنها: التخفيف؛ لكثرة دورانه في الكلام، كما في حذف حرف النداء. ومنها: شهرته، حتى يكون ذكره وعدمه سواء. ومنها: صيانته عن ذكره؛ تشريفًا. ومنها: صيانة اللسان عنه؛ تحقيرًا له. ومنها: قصد العموم. ومنها: رعاية الفاصلة"[1].

"ذكر شروطه: الأول: وجود دليل، إما: حالي، نحو: " قَالُواْ سَلاَمًا"[2] ، أي: سلمنا سلامًا، أو: مقالي. ومن الأدلة: العقل، حيث يستحيل صحة الكلام عقلًا إلا بتقدير محذوف. قيل ابن هشام: وإنما يشترط الدليل فيما إذا كان المحذوف الجملة بأسرها، أو أحد ركنيها، أو يفيد معنى فيها هي مبنية عليه. أما الفضلة فلا يشترط لحذفها وجدان دليل، بل يشترط ألا يكون في حذفها ضرر معنوي أو صناعي، ويشترط في الدليل اللفظي أن يكون طبق المحذوف. الثاني: ألا يكون المحذوف كالجزء، ومن ثم لم يحذف الفاعل ولا نائبه، ولا اسم كان وأخواتها. الثالث: ألا يكون مؤكدًا؛ لأن الحذف مناف للتأكيد، إذ الحذف مبني على الاختصار، والتأكيد مبني على الطول. وأما حذف الشيء لدليل وتوكيده، فلا تنافي بينهما، لأن المحذوف لدليل كالثابت. الرابع: ألا يؤدي حذفه إلى اختصار المختصر، ومن ثم

(1) الإتقان في علوم القرآن: (3/171- 173).
(2) هود: 69.

لم يحذف اسم الفعل؛ لأنه اختصار للفعل. الخامس: ألا يكون عاملًا ضعيفًا, فلا يحذف الجار والناصب للفعل والجازم إلا في مواضع قويت فيها الدلالة، وكثر فيها استعمال تلك العوامل. السادس: ألا يكون المحذوف عوضًا عن شيء، ومن ثم قال ابن مالك: إن حرف النداء ليس عوضًا من: أدعو؛ لإجازة العرب جزمه، ولذا أيضًا لم تحذف التاء من إقامة، واستقامة. السابع: ألا يؤدي حذفه إلى تهيئة العامل القوي"[1].

أنواع الحذف: "والمحذوف: إما جزء جملة، أو جملة، أو أكثر من جملة. الأول: إما مضاف، وإما موصوف، وإما صفة، وإما شرط، وإما جواب شرط، وهو ضربان: أحدهما: أن يحذف لمجرد الاختصار. وثانيهما: أن يحذف للدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف، أو لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن. قال السكاكي رحمه الله: "ولهذا المعنى حذفت الصلة من قولهم: "جاء بعد اللتيا والتي" أي: المشار إليه بهما وهي المحنة، أو الشدائد بلغت شدتها وفظاعة شأنها مبلغًا يبهت الواصف معه، حتى لا يحير ببنت شفة، وإما: غير ذلك؛ والثاني: أعني ما يكون جملة، إما مسبب ذكر سببه، كقوله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾[2]. أو بالعكس، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾[3]. والثالث: كقوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى﴾[4]؛ أي: فضربوه ببعضها، فيحيى، فقلنا: كذلك يحيى الله الموتى، أوجه الحذف: واعلم أن الحذف على وجهين: أحدهما: أن لا يقام شيء مقام المحذوف، والثاني: أن يقام مقامه ما يدل عليه[5].

فائدته: للحذف فائدة ذكرها ابن القيم فقال: "فائدته زيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف، وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر كان الالتذاذ به أشد، وأكثر، وكان ذلك

(1) الإتقان في علوم القرآن: (3/174- 178).
(2) الأنفال: 8.
(3) البقرة: 54.
(4) البقرة: 73.
(5) القزويني، الخطيب القزويني، في الإيضاح في علوم البلاغة: (1/ 179)، تحقيق الشيخ بهيج غزاوي، طبعة دار إحياء العلوم سنة 1419هـ 1998م، بيروت.

أحسن"[1].

صور من الإيجاز بالحذف في آيات القرآن

من دلائل إعجاز القران الكريم ما اشتمل عليه من آيات الإيجاز، وسأبين بعضًا منها في آيات القرآن، قال يحيى بن حمزة العلوي: "الإيجاز من أعظم قواعد البلاغة، ومن مهمات علومها، ومواقعه في القران أكثر من أن تحصى"[2].

الإيجاز بحذف جزء جملة

الإيجاز بحذف حرف:

قال ابن جني في المحتسب: "حذف الحرف ليس بقياس؛ لأن الحروف إنما دخلت الكلام لضرب من الاختصار، فلو ذهبت تحذفها لكنت مختصرًا لها هي أيضًا، واختصار المختصر إجحاف"[3].

وحرف الجر يكثر حذفه مع "أن"، وذلك لضرب من الإيجاز وإكثار المعنى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ [4].

"ولحذف حرف الجرّ بعد "ترغبون"–هنا– موقع عظيم من الإيجاز وإكثار المعنى، أي: ترغبون عن نكاح بعضهنّ، وفي نكاح بعض آخر، فإنّ فعْل رغب يتعدّى بحرف "عن"

(1) وينظر: الفوائد المشوق– المنسوب لابن القيم–: ص 71. وابن القيم: "691– 751 هـ"، هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعيد بن حريز الزرعي، ثم الدمشقي أبو عبد الله، شمس الدين المعروف بابن قيم الجوزية. ولد سنة 691 هـ، وتربى في بيت علم وفضل، وتلقى مبادئ العلوم عن أبيه، وأخذ العلم عن كثير من علماء عصره، ولاسيما شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد لازمه وتتلمذ[له] وقد شهد له العلماء بالتفوق في فقه الكتاب والسنة، ودقائق الاستنباط. وقد صنف له تصانيف كثيرة منها: تهذيب سنن أبي داود، والكلم الطيب، وأعلام الموقعين، وبدائع الفوائد؟ وتوفي– رحمه الله– ليلة الخميس 13 رجب سنة 751هـ، ودفن بدمشق بجوار والده في مقبرة "باب الصغير"، وتنظر ترجمته في مختصر زاد المعاد للإمام محمد بن عبد الوهاب طبعة دار الريان الطبعة الثانية سنة 1407هـ–1987م القاهرة.

(2) الطراز: ص245.

(3) نسب هذا الرأي إلى ابن جني السيوطي في الإتقان: (188/3).

(4) النساء: 127.

للشيء الذي لا يُحَبّ، وبحرف "في" للشيء المحبوب، فإذا حذف حرف الجرّ احتمل المعنيين إن لم يكن بينهما تناف، وذلك قد شمله قوله في الآية المتقدّمة" ﴿وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا﴾ [1][2]. وهذا ما كنت أقصده من الإيجاز المعجز بالاحتمال مع عدم وجود مناف لأي من المعنيين فتأمل!. وقيل: وترغبون أن تنكحوهن هذا اللفظ يحتمل الرغبة والنفرة، فالمعنى في الرغبة في أن تنكحوهن لمالهن أو لجمالهن، والنفرة وترغبون عن أن تنكحوهن؛ لقبحهن، فتمسكوهن رغبة في أموالهن"[3].

وقوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا. يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [4].

قوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ امتنان، و﴿أن تضلّوا﴾ تعليل لـ﴿يبيّنُ﴾ حذفت منه اللام، وحذفُ الجار مع "أن" شائع. والمقصود: التعليل بنفي الضلال لا لوقوعه؛ لأنّ البيان ينافي التضليل، فحُذفت لا النافية، وحذفها مَوجود في مواقع من كلامهم؛ إذا اتّضح المعنى؛ وهذا تأويل الكوفيين، وتأوّل البَصريون الآية. ونظائرهما على تقدير مضاف، يدلّ عليه السياق هو المفعول لأجله، أي: كراهة أن تضلّوا. وقد جعل بعض المفسّرين ﴿أن تضلّوا﴾ مفعولًا به لـ ﴿يبيّن﴾، وقال: المعنى: أنّ الله فيما بيّنه من الفرائض، قد بيّن لكم ضَلالكم الذي كنتم عليه في الجاهلية، وهذا بعيد؛ إذ ليس ما فعلوه في الجاهلية ضلالًا قبل مجيء الشريعة؛ لأنّ قسمة المال ليست من الأفعال المشتملة على صفة حسن وقبيح بيّنه، إلاّ إذا كان فيها حرمَان لمن هو حقيق بالمؤاساة والمبرّة، ولأنّ المصدر مع" أن" يتعيّن أن يكون بمعنى المستقبل، فكيف يصحّ أن يراد بـ ﴿أن تضلّوا﴾ ضلالًا قد مضى"[5].

(1) النساء: 3.
(2) التحرير والتنوير: (213/3).
(3) البحر المحيط: (84/3).
(4) النساء: 176.
(5) التحرير والتنوير: (67/4، 68).

الإيجاز بحذف حرف النداء:

"وقد جاء حذف حرف النداء في مواضع متعددة، ولمعرفة حذفه فيه- فيما أرى- ضابطين:

الأول: دلالة الحرف المحذوف على معنى مع بقاء هذا المعنى بعد الحذف.

والثاني: اعتبار الحرف محذوفًا بالقياس على موضع آخر مماثل ورد فيه دون حذف.

فمن النوع الأول: حذف حرف النداء" الياء" كثيرًا في القرآن الكريم؛ حيث لم يأتِ في القرآن أداة نداء سواه، ولأن العلماء صرحوا على أن أداة النداء إذا حذفت وجب أن يقدر المحذوف ياءً؛ لأنها أم الباب"[1].

وقد ورد ذلك في آيات القرآن ومن ذلك قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آَمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ. رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"[2].

"رب": منادى محذوف منه حرف النداء. وأصله "ربي"، حذفت ياء المتكلم تخفيفًا، وهو كثير في المنادى المضاف إلى الياء. وإعادة النداء في قوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ"؛ لإنشاء التحسر على ذلك﴾ [3].

[و] "سر حذف أداة النداء" الياء" مع "رب". المبالغة في تصوير قرب المنادى "رب"، حيث إن معناه: المربي والسيد والمالك. وهو بهذه المعاني من شأنه أن يكون قريبًا حاضرًا لا يحتاج في ندائه إلى وسائط[4]، أما لماذا حذف "يا" مع "رب"؟، أن هذه الكلمة "رب" أكثر استعمالًا من غيرها في الدعاء، فروعي فيها من جهات التخفيف ما يجعلها أطوع على

(1) ابن هشام، عبدالله بن هشام الأنصاري، في مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: (243/1)، وما بعدها، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، طبعة المكتبة العصرية، سنة(1411 ه)، وخصائص التعبير القرآني: (7/2).

(2) إبراهيم: 35، 36.

(3) التحرير والتنوير: (238/7، 239).

(4) د/ أحمد بدوي، في كتابه: من بلاغة القرآن: / ص 169.

الألسنة وأسهل في مجاري الحديث. ولعل السر في إيثار القرآن الكريم لحرف النداء" يا" دون غيره؛ لأن هذه الأداة تكون الوسيلة الطبيعية في النداء؛ إذ هي أكثرها استعمالًا عند الخاصة والعامة، ولأنها أم الباب، ولأنها أخف أحرف النداء في النطق؛ لأنها تبدو في خفة حركتها، كأنها صوت واحد؛ لانطلاق اللسان بمدها دون أن يستأنف عملًا. أما الأربع الأُخر، وهي الهمزة، وأيا، وهيا، وأي، فإن كلًا منها يبدأ بحروف الحلق، وهي أثقل الأصوات نطقًا"[1].

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [2]

"﴿والذين يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أزواجنا﴾، بتوفيقهم للطَّاعةِ وحيازة الفضائلِ، فإنَّ المؤمنَ إذا ساعده أهلُه في طاعةِ الله- عزَّ وجلَّ- وشاركوه فيها، يُسرُّ بهم قلبُه، وتقرُّ بهم عينُه لما يشاهدُه من مشايعتهم له في مناهجِ الدِّينِ، وتوقُّعِ لحوقِهم به في الجنَّة حسبما وعد بقوله تعالى: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، ومِن: ابتدائيةٌ أو بيانيةٌ وقرئ "وذريتِنا"، وتنكيرُ الأعينِ؛ لإرادة تنكيرِ القُرَّة تعظيمًا. وتقليلُها؛ لأنَّ المرادَ أعينُ المتَّقين ولا ريبَ في قلَّتِها نظرًا إلى غيرِها"[3].

الإيجاز بحذف المبتدأ:

" أما حذفه، فإما: لمجرد الاختصار، والاحتراز عن العبث بناءً على الظاهر، وإما: لذلك مع ضيق المقام، وإما: لتخيل أن في تركه تعويلًا على الشهادة العقل، وفي ذكره تعويلًا على شهادة اللفظ من حيث الظاهر، وكم بين الشهادتين".[4]

وقد ورد هذا الإيجاز في آيات القرآن، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ

(1) خصائص التعبير القرآني: (8/2).

(2) الفرقان: 74.

(3) أبي السعود، في تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، طبعة دار الفكر: (150/4، 151).

(4) الإيضاح: ص 62 وما بعدها.

بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ [1].

قوله: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، حذف للاختصار والإيجاز، ودليل الحذف مفهوم مما سبق، وهو ذلك الإرضاع لمن أراد أن يتم الرضاعة.

"فإن قلت: كيف اتصل قوله: ﴿لِمَنْ أَرَادَ﴾ بما قبله؟ قلت: هو بيان لمن توجه إليه الحكم، كقوله تعالى: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [2]، لك: بيان للمهيت به، أي: هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاع"[3].

"أي: فهو خبر مبتدأ محذوف، كما أشار إليه ، بتقدير هذا الحكمُ لمن أراد. قيل: وقد يصرح بهذا المبتدأ في بعض التراكيب كقوله تعالى: ﴿ذلك لمن خشي العنت منكم﴾ [4] ومَا صْدَقُ "مَنْ" هنا من يهمه ذلك: وهو الأب والأم، ومن يقوم مقامهما من ولي الرضيع وحاضنه. والمعنى: أن هذا الحكم يستحقه من أراد إتمام الرضاعة، وأباه الآخر، فإن أرادا معًا عدم إتمام الرضاعة، فذلك معلوم من قوله: ﴿فإن أرادا فصالًا﴾"[5].

قوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ. مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [6].

حذف المبتدأ في هذه الآية اختصارًا في قوله: ﴿آباؤكم وأبناؤكم﴾، وتقديره: المذكورون آباؤكم وأبناؤكم لا شك في ذلك.

[و]" ختم هذه الفرائض المتعلّقة بالأولاد والوالدين، وهي أصول الفرائض بقوله: ﴿آباؤكم وأبناؤكم﴾" الآية، فهما إمّا مسند إليهما قُدّما للاهتمام، وليتمكّن الخبر في ذهن

(1) البقرة: 233.
(2) يوسف: 23.
(3) الكشاف: (278/1، 279).
(4) النساء: 25.
(5) التحرير والتنوير: (431/2).
(6) النساء: 11.

السامع؛ إذ يُلقي سمعه عند ذكر المسند إليهما بشراشره، وإمّا أن تجعلهما خبرين عن مبتدأ محذوف، هو المسند إليه، على طريقة الحذف المعبّر عنه عند علماء المعاني بمتابعة الاستعمال، وذلك عندما يتقدّم حديث عن شيء ثم يراد جمع الخبر، أي: المذكورون آباؤكم وأبناؤكم لا شكّ في ذلكّ"[1].

"هو في الآخرة لا يدرون أي الوالدين أرفع درجة عند الله ليشفع في ولده، وكذا الولد في والديه. وقيل: معناه في الدّنيا، أي: إذا اضطر إلى إنفاقهم للفاقة، وقيل: في الدنيا والآخرة، واللفظ يقتضي ذلك. وقيل: أقرب لكم نفعًا في الميراث والشفاعة، وقيل: أسرع موتًا، فيرثه الآخر، فاقسموا الميراث على ما بين لكم من يعلم النفع والمصلحة، فإنكم لا تدرون أنتم ذلك"[2].

وقوله: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [3].

حذف المبتدأ من قوله: ﴿فإخوانكم﴾، وذلك للإشارة إلى ضميرهم سابقًا، والتقدير: فهم إخوانكم في الدين ومواليكم وأولياؤكم فيه.

"وارتفاع "إخوانُكم" على الإخبار عن مبتدأ محذوف، هو ضمير الأدعياء، أي: فهم لا يَعْدُون أن يوصفوا بالإخوان في الإسلام إن لم يكونوا مواليَ أو يوصفوا بالموالي إن كانوا مواليَ بالحلف، أو بولاية العتاقة وهذا استقراء تام، والإخبار بأنهم إخوان وموال كناية عن الإرشاد إلى دعوتهم بأحد هذين الوجهين"[4].

الإيجاز بحذف الفعل:

ويكون الإيجاز بحذف الفعل للتخفيف؛ لكثرة دورانه في الكلام، كما في حذف الفعل

(1) التحرير والتنوير: (262/3).
(2) البحر المحيط: (542/1).
(3) الأحزاب: 5.
(4) التحرير والتنوير: (262/7).

مع "إذ"، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾"[1].

حذف ما تعلق به "إذ" والتقدير: اذكر إذ، وذلك تخفيفًا، ولكثرة دوران مثل هذا الكلام.

[و] "الآية: شروعٌ في تَعداد بعضٍ آخرَ من قبائح أسلافِ اليهودِ مما ينادي بعدم إيمانِ أخلافِهم، وكلمةُ "إذ" نُصب بإضمار فعلٍ خوطب به النبيُّ ﷺ والمؤمنون ليؤدِّيَهم التأملُ في أحوالهم إلى قطع الطمَع عن إيمانهم، أو اليهودُ الموجودون في عهد النبوة توبيخًا لهم بسوء صنيعِ أسلافِهم. أي: اذكروا إذ أخذنا ميثاقهم ﴿لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ﴾"[2].

"و "إذ" من أسماء الزمان المبهمَة تدل على زمان نسبة ماضية وقعتْ فيه نسبةٌ أخرى ماضية قارنتها، فـ"إذْ" تحتاج إلى جملتين: جملة أصلية، وهي الدالة على المظروف، وتلك هي التي تكون مع جميع الظروف، وجملة تبين الظرف ما هو؛ لأن "إذ" لما كانت مبهمة احتاجت لما يبين زمانها عن بقية الأزمنة، فلذلك لزمت إضافتها إلى الجمل أبدًا، والأكثر في الكلام أن تكون "إذ" في محل ظرف لزَمن الفعل، فتكون في محل نصب على المفعول فيه، وقد تخرج "إذ" عن النصب على الظرفية إلى المفعولية كأسماء الزمان المتصرفة، فهي تصير ظرفًا مبهمًا متصرفًا، وقد يضاف إليها اسم زمان نحو يومئذٍ وساعتئذٍ فتجر بإضافة صورية؛ ليكون ذكرها وسيلة إلى حذف الجملة المضافةِ هي إليها، وذلك أن "إذ" ملازمة للإضافة، فإذا حذفت جملتها عَلِم السامع أن هنالك حذفًا، فإذا أرادوا أن يحذفوا جملة مع اسم زمان غير "إذ"، خافوا أن لا يهتدي السامع لشيء محذوف حتى يتطلب دليله، فجعلوا "إذْ" قرينة على إضافةٍ، وحذفوا الجملة؛ لينبهوا السامع، فيتطلب دليل المحذوف. [و] "إذْ" اسم زمان مفعولًا به بتقدير: اذكر، ونظيره كثير في القرآن، والمقصود من تعليق الذكر والقصة بالزمان، إنما هو

(1) البقرة: 83.
(2) أبي السعود: (147/1، 148).

ما حصل في ذلك الزمان من الأحوال، وتخصيص اسم الزمان دون اسم المكان؛ لأن الناس تعارفوا إسناد الحوادث التاريخية والقصص إلى أزمان وقوعها"[1].

ومثلها قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آَزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آَلِهَةً﴾ [2].

حذف الفعل، للاختصار والاحتراز عن العبث لظهوره، والتقدير: واذكر إذ، ولأن الغرض القصة لا خطاب محمد ﷺ لأن التسلية تقع بذكر نفس القصة.

[والآية] "عطف على الجمل السابقة التي أولاها" وكذّب به قومك وهو الحقّ"[3] المشتملة على الحجج والمجادلة في شأن إثبات التوحيد وإبطال الشرك، فعُقّبت تلك الحجج بشاهد من أحوال الأنبياء بذكر مجادلة أول رسول أعلَن التوحيد وناظر في إبطال الشرك بالحجّة الدامغة والمناظرة الساطعة، ولأنَّها أعدل حجَّة في تاريخ الدين؛ إذ كانت مجادلة رسول لأبيه ولقومه، وكانت أكبر حجّة على المشركين من العرب بأنّ أباهم لم يكن مشركًا ولا مُقِرًّا للشرك في قومه، وأعظم حجَّة للرسول ﷺ إذ جاءهم بالإقلاع عن الشرك والكلام في افتتاح القصّة بـ "إذْ" بتقدير: اذْكُر"[4].

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آَمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾[5].

إيجاز بحذف الفعل في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ﴾، والتقدير: واذكر.

""وإذا": اسم زمان ماض منصوب على المفعولية لفعل محذوف شائع الحذف في أمثاله، تقديره: واذكر إذ قال إبراهيم، زيادة في التعجيب من شأن المشركين الذي مر في قوله: ﴿ألم تر إلى الذين بدلّوا نعمة الله كفرًا﴾، فموقع العبرة من الحالين واحد"[6].

الإيجاز بحذف المفعول:

(1) التحرير والتنوير: (396/1، 397).
(2) يوسف: 4.
(3) الأنعام: 66.
(4) التحرير والتنوير: (205/6).
(5) إبراهيم: 35.
(6) التحرير والتنوير: (238/7).

وقد يكون الإيجاز بحذف المفعول، ومن ذلك في آيات القرآن، قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [1].

المعنى: ولو شاء ربك هدايتهم، أو إيمانهم.

قيل: ولو شاء رَبُّكَ أن يُؤمِنَ من في الأرْضِ كُلُّهُمْ جَميعًا لَجَعَلَهُمْ مَجْبُورينَ لا خِيارَ لَهُم ولآمَنْ مَنْ في الأرضِ كلُّهم جميعًا عندئذٍ، فَحَذَفَ المفعول لفعل المشيئة، وهذا الحذف هو الغالب في فعل المشيئةِ في النصوص القرآنية، وكذلك فعل الإرادة، إلاَّ إذا كان المفعول أمرًا مستغربًا أو مستنكرًا أو مستحيلًا، فالداعي البلاغي لذكره أقوى من الداعي البلاغي لحذفه"[2].

وقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ، وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [3]

"في قوله: ﴿أَن تَسْتَرْضِعُواْ أولادكم﴾ حذف المفعول الأول استغناءً عنه، أي: أن تسترضعوا المراضِعَ لأولادكم، يقال: أرضعتِ المرأةُ الصبيَّ، واسترضعتُها إياه، وقيل: إنما يتعدَّى إلى الثاني بحرف الجرِّ، يقال: استرضعتُ المرأةَ للصبيِّ. أي: أن تسترضعوا المراضِعَ لأولادكم، فحُذف حرفُ الجر أيضًا"[4].

" والاسترضاع: أصله طلب إرضاع الطفل، أي: طلب أن ترضع الطفل غير أمه، فالسين والتاء في "تسترضعوا" للطلب، ومفعوله محذوف، وأصله أن تسترضعوا مراضع

(1) يونس: 99.

(2) الميداني، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني في كتابه، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، طبعة دار القلم بدمشق: (1/ 267).

(3) البقرة: 233.

(4) أبي السعود: (270/1).

لأولادكم؛ لأن الفعل يعدَّى بالسين والتاء الدالين على الطلب إلى المفعول المطلوب منه الفعل، فلا يتعدى إلاّ إلى مفعول واحد، وما بعده يعدى إليه بالحرف، وقد يحذف الحرف؛ لكثرة الاستعمال، كما حذف في استرضع واستنجح، فعدي الفعل إلى المجرور على الحذف والإيصال"[1].

وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى. أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾[2].

حذف المفعول به في قوله: "فخلق"، و "فسوى"، وذلك إيجازًا واختصارًا، ولدلالة الكلام عليه في أوله، وهو الإنسان، والتقدير: فخلقه فسواه.

"وضمير "خلق" عائد إلى "ربك"، وكذلك عطف "فسَوّى" بالفاء، والتسوية: جعل الشيء سواء، أي: معدلًا مقومًا، أي: فجعله جسدًا من عظم ولحم. ومفعول "خلق"، ومفعول "سوى" محذوفان؛ لدلالة الكلام عليهما، أي: فخلقه فسوّاه. وعُقب ذلك بخلقه ذكرًا أو أنثى، زوجين، ومنهما يكون التناسل أيضًا[3]؛ أو "فَخَلَقَ" أي: فقدرَ بأنْ جعلَها مضغةً مخلقةً "فسوى" فعدَّلَ وكمَّل نشأتَهُ "فَجَعَلَ مِنْهُ" منَ الإنسانِ "الزوجين"، أيِ الصنفينِ: الذكر والأنثى"[4].

الإيجاز بحذف متعلق الفعل:

ويحذف متعلق الفعل –الجار والمجرور– للإيجاز اختصارًا، واحترازًا عن العبث؛ لظهوره، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا

(1) التحرير والتنوير: (439/2).
(2) القيامة: 36- 40.
(3) التحرير والتنوير: (368/14).
(4) أبي السعود: (798/5).

وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [1].

حذف متعلق "توليتم"، وذلك لدلالة قوله: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، وذلك للاختصار والاحتراز عن العبث.

"والمعنى: أخذنا ميثاق الأمة الإسرائيلية على التوحيد وأصول الإحسان، فكنتم ممن تولى عن ذلك وعصيتم شرعًا اتبعتموه، والتولي: الإعراض، وإبطال ما التزموه، وحذف متعلقه لدلالة ما تقدم عليه، أي: توليتم عن جميع ما أخذ عليكم الميثاق به، أي: أشركتم بالله وعبدتم الأصنام وعققتم الوالدين وأسأتم لذوي القربى واليتامى والمساكين، وقلتم للناس أفحش القول، وتركتم الصلاة ومنعتم الزكاة"[2].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [3].

حذف متعلق "تعفوا"، و"وتصفحوا"، و"وتغفروا"، وذلك لإرادة عموم الترغيب في العفو، ولا يخفى ما فيه من الإيجاز والاختصار.

"وعُطف على قوله: "فاحذروهم" جملة: "وإن تعفوا وتصفحوا" إلى آخرها عَطف الاحتراس؛ لأنه إذا كان العفو مطلوبًا محبوبًا إلى الله-تعالى- وهو لا يكون إلا بعد حصول الذنب، فإن عدم المؤاخذة على مجرد ظنّ العداوة أجدر بالطلب، ففهم النهي عن معاملة الأزواج والأبناء معاملةَ الأعداء لأجل إيجاس العداوة، بل المقصود من التحذير التوقِّي وأخذُ الحيطة لابتداء المؤاخذة، ولذلك قيل: الحزم سوء الظن بالناس، أي: لكن دون أن يبنى على ذلك الظن معاملة من صدر منه ما ظننت به، والعفو: ترك المعاقبة على الذنب بعد الاستعداد لها، ولو مع توبيخ، والصفح: الإعراض عن المذنب، أي: ترك عقابه على ذنبه دون التوبيخ، والغفر: ستر الذنب وعدم إشاعته، والجمع بينها هنا إيماء إلى تراتب آثار هذه

(1) البقرة: 83.
(2) التحرير والتنوير: (484/1).
(3) التغابن: 14.

العداوة، وما تقتضيه آثارها من هذه المعاملات الثلاث، وحذف متعلق الأفعال الثلاثة؛ لظهور أن المراد من أولادكم وأزواجكم، فيما يصدر منهم مما يؤذيكم، ويجوز أن يكون حذف المتعلق؛ لإرادة عموم الترغيب في العفو، وإنما يعفو المرء ويصفح ويغفر عن المذنب؛ إذا كان ذنبه متعلقًا بحق ذلك المرء، وبهذه الأفعال المذكورة هنا مطلقة، وفي أدلة الشريعة تقييدات لها"[1].

الإيجاز بحذف المضاف:

وقد يكون الإيجاز بحذف المضاف وإبقاء المضاف إليه؛ لوجود الدليل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [2].

"﴿والذين يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ على تقدير حذف المضاف، أراد: وأزواج الذين يتوفون منكم يتربصن. وقيل: معناه يتربصن بعدهم، كقولهم: السمن مَنَوَان بدرهم"[3].

[والآية]: "انتقال إلى بيان عدة الوفاة، بعد الكلام عن عدة الطلاق، وما اتصل بذلك من أحكام الإرضاع عقب الطلاق، تقصيًا لما به إصلاح أحوال العائلات، فهو عطف قصة على قصة، ويُتوفون مبني للمجهول، وهو من الأفعال التي التزمت العرب فيها البناء للمجهول، مثل: عُني واضطر، وذلك في كل فعل قد عرف فاعله ما هو، أو لم يعرفوا له فاعلًا معينًا. وهو من توفاه الله أو توفاه الموت، فاستعمال التوفي منه مجاز، تنزيلًا لعمر الحي منزلة حق للموت، أو لخالق الموت، فقالوا: تُوفي فلان، كما يقال: توفي الحق، ونظيره: قُبض فلان، وقبض الحق، فصار المراد من توفي: مات، كما صار المراد من قبض، وشاع هذا المجاز حتى صار حقيقة عرفية، وجاء الإسلام، فقال الله تعالى: ﴿الله يتقى الأنفس﴾ [4]، وقال:

(1) التحرير والتنوير: (284/13، 285).
(2) البقرة: 234.
(3) الكشاف: (281/1).
(4) الزمر: 42.

﴿حتى يتوفاهن الموت﴾ [1]، وقال: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت﴾ [2]، فظهر الفاعل المجهول عندهم في مقام التعليم أو الموعظة، وأبقي استعمال الفعل مبنيًا للمجهول فيما عدا ذلك؛ إيجازًا وتبعًا للاستعمال"[3].

وقوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ﴾"[4].

حذف المضاف المجرور في قوله: ﴿في أولادكم﴾ اختصارًا وتخفيفًا والتقدير: في إرث أولادكم.

وابتدأ الله-تعالى- قسمة الميراث بميراث الأبناء؛ لأنّهم أقرب الناس إلى الميت.

"والأولاد: جمع ولد، بوزن فَعَل، والولد: اسم للابن ذكرًا كان أو أنثى، ويطلق على الواحد وعلى الجماعة من الأولاد، و"في" هنا للظرفية المجازية، جعلت الوصية كأنّها مظروفة في شأن الأولاد؛ لشدّة تعلّقها به كاتّصال المظروف بالظرف، ومجرورها محذوف، قام المضاف إليه مقامه؛ لظهور أنّ ذوات الأولاد لا تصلح ظرفًا للوصيّة، فتعيّن تقدير مضاف على طريقة دلالة الاقتضاء، وتقديره: في إرثِ أولادكم، والمقام يدلّ على المقدّر. فجعل الوصيّة مظروفة في هذا الشأن؛ لشدّة تعلقها به، واحتوائه عليها"[5].

وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ﴾"[6].

حذف المضاف من قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾، أي: نكاح أمهاتكم.

"﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾، معناه: تزوجهنّ. والأمّهات جمع أُمَّةٍ أو أُمَّهةٍ، والعرب

(1) النساء: 15.
(2) السجدة: 11.
(3) التحرير والتنوير: (441/2).
(4) النساء: 11.
(5) التحرير والتنوير: (256/3، 257).
(6) النساء: 23.

أماتوا أمَّهة وأمَّه، وأبقوا جمعه، كما أبْقوا أُمّ وأماتوا جمعه، فلم يسم منهم الأمَّات، واعلم أنّ شريعة الإسلام قد نوّهت ببيان القرابة القريبة، فغرست لها في النفوس وقارًا ينزّه عن شوائب الاستعمال، في اللَّهو والرفث؛ إذ الزواج، وإن كانّ غرضًا صالحًا باعتبار غايته، إلاّ أنّه لا يفارق الخاطرَ الأوّل الباعث عليه، وهو خاطر اللهو والتلذّذ، فوقار الولادة، أصلًا وفرعًا، مانع من محاولة اللهو بالوالدة أو المولودة، ولذلك اتّفقت الشرائع على تحريمه، ثم تلاحق ذلك في بنات الإخوة وبنات الأخوات، وكيف يسري الوقار إلى فرع الأخوات، ولا يثبت للأصل، وكذلك سرى وَقار الآباء إلى أخوات الآباء، وهنّ العمّات، ووقار الأمّهات إلى أخواتهنّ وهنّ الخالات، فمرجع تحريم هؤلاء المحرّمات إلى قاعدة المروءة التابعة لكليّة حفظ العِرض، من قسم المناسب الضروري، وذلك من أوائل مظاهر الرقي البشري"[1].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا. وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [2].

حذف المضاف وهو مفعول "تردن" وأقيم المضاف إليه مقامه؛ وذلك لأن الإرادة لا تتعدى إلى الحياة، والتقدير: تردن سعة، أو ترف الحياة الدنيا.

"ومعنى: ﴿إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾، إن كنتن تُؤثرن ما في الحياة من الترف على الاشتغال بالطاعات والزهد، فالكلام على حذف مضاف يقدر صالحًا للعموم؛ إذ لا دليل على إرادة شأن خاص من شؤون الدنيا، وهذه نكتة تعدية فعل "تُرِدْنَ" إلى اسم ذات "الحياة" دون حال من شؤونها، وعطفُ "زينتَها"، عطف خاص على عام، وفي عطفه زيادة تنبيه على أن المضاف المحذوف عام، وأيضًا ففعل "تردْنَ" يؤذن باختيار شيء على غيره، فالمعنى: إن كنتن ترِدْنَ الانغماس في شؤون الدنيا، وقد دلت على هذا مقابلته بقوله: ﴿وإن

(1) التحرير والتنوير: (295/3).
(2) الأحزاب: 28، 29.

كنتُنّ تردْنَ الله ورسوله﴾ [1].

" ومعنى ﴿وإن كنتن تردن الله ورسوله﴾: إن كنتن تُؤْثِرْنَ الله على الحياة الدنيا، أي: تؤثرن رضى الله لما يريده لرسوله، فالكلام على حذف مضاف، وإرضاء الله: فعل ما يحبه الله ويقرب إليه، فتعدية فعل "تردن" إلى اسم ذات الله –تعالى– على تقدير تقتضيه صحة تعلق الإرادة باسم ذات؛ لأن الذات لا تراد حقيقة، فوجب تقدير مضاف، ولزم أن يقدر عامًا، كما تقدم. وإرادة رضى الرسول ﷺ كذلك على تقدير، أي: كل ما يرضي الرسول ﷺ، وأول ذلك أن يَبْقَيْنَ في عشرته طيّبات الأنفس، وإرادة الدار الآخرة: إرادة فَوْزها، فالكلام على حذف مضاف يقتضيه المقام أيضًا، فأسلوب الكلام جرى على إناطة الحكم بالأعيان وهو أسلوب يقتضي تقديرًا في الكلام من قبيل دلالة الاقتضاء، وفي حذف المضافات وتعليق الإرادة بأسماء الأعيان الثلاثة مقصدُ أن تكون الإرادة متعلقة بشؤون المضاف إليه التي تتنزل منزلة ذاتِه مع قضاء حق الإيجاز بعد قضاء حق الإعجاز"[2].

الإيجاز بحذف الموصوف:

من بديع الإيجاز بالحذف، حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، وفيه من بديع الإيجاز دلالته على الموصوف وصفته بلفظ واحد، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم كثيرًا، ومن ذلك قوله تعالى: " هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ"[3].

و "صالحًا": وصف جرى على موصوف محذوف، وظاهر التذكير أن المحذوف تقديره: "ذكرا"، وكان العرب يرغبون في ولادة الذكور، فالدعاء بأن يؤتَيا ذكرًا، وأن يكون صالحًا، أي: نافعًا؛ لأنهم لا يعرفون الصلاح الحق، ويَنذران: " لئن آتيتنا صالحًا لنكونن من

(1) التحرير والتنوير: (315/10).
(2) التحرير والتنوير: (316/10، 317).
(3) الأعراف: 189.

الشاكرين""[1]. "ثم أقسما على أنهما يكونان من الشاكرين إن آتاهما صالحًا؛ لأن إيتاء الصالح نعمة من الله على والديه. فذكر الولد الصالح يدعو لوالده، فينبغي الشكر عليها؛ إذ هي من أجل النعم، ومعنى صالحًا: مطيعًا لله- تعالى- أي: ولدًا طائعًا أو ولدًا ذكرًا؛ لأنّ الذكورة من الصلاح والجودة"[2].

وقوله: " وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ"[3].

"والمعروف: الشيء المتعارف المألوف الذي لا ينكر، فهو الشيء الحسن، أي: صاحبْ والديْك صحبةً حسنة، وانتصب" معروفًا" على أنه وصف لمصدر محذوف مفعول مطلق لـ" صاحِبْهُما"، أي: صِحابًا معروفًا لأمثالهما. وفهم منه اجتناب ما ينكر في مصاحبتهما، فشمل ذلك معاملة الابن أبويه بالمنكر وشمل ذلك أن يدعو الوَالدُ إلى ما ينكره الله. ولذلك لا يُطاعَان إذا أمرَا بمعصية"[4].

وقوله: " مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ. وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ"[5].

"وانتصب" الحقَ" على أنه صفة لمصدر محذوف مفعول به لـ" يقول". تقديره: الكلام الحق؛ لأن فعل القول لا ينصب إلا الجمل أو ما هو في معنى الجملة نحو: " إنها كلمةٌ هو قائلها"[6]، فالهاء المضاف إليها" قائل" عائدة إلى" كلمة"، وهي مفعول أضيف إليها. وفي الإخبار عن اسم الجلالة وضميره بالمسندَيْن الفعليَيْن، إفادة قصر القلب، أي: هو يقول الحق

(1) التحرير والتنوير: (213/5).
(2) البحر المحيط: (246/5).
(3) لقمان: 15.
(4) التحرير والتنوير: (161/10).
(5) الأحزاب: 4.
(6) المؤمنون: 100.

لا الذين وضعوا لكم تلك المزاعم، وهو يهدي السبيل لا الذين أضلوا الناس بالأوهام"[1].

الإيجاز بحذف الصفة:

"وقد يكون الإيجاز بحذف الصفة، وإبقاء الموصوف، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾"[2].

حذف من قوله: "ونساء" الموصوف، أي: ونساء كثيرات، اكتفاء بوصف الرجال به واختصارًا وإيجازًا.

[و]" ﴿رِجَالًا كَثِيرًا﴾ نعتٌ لـ "رجالًا"، مؤكّدٌ لما أفادَهُ التنكيرُ من الكثرةِ، والإفرادِ باعتبار معنى الجمع أو العددِ. وقيلَ: هو نعتٌ لمصدرٍ مؤكدٍ للفعل، أي: بثًّا كثيرًا" وَنِسَاء"، أي: كثيرة، وتركُ التصريحِ بها؛ للاكتفاء بالوصف المذكورِ، وإيثارُهما على ذكورًا وإناثًا لتأكيد الكثرةِ والمبالغةِ فيها بترشيح كلِّ فردٍ من الأفراد المبثوثةِ لمبدئيّة غيره"[3].

"وقد شمل قوله: ﴿وخلق منها زوجها﴾ العبرة بهذا الخلق العجيب الذي أصله واحد، ويخرج هو مختلف الشكل والخصائص، والمنّة على الذكران بخلق النساء لهم، والمنّة على النساء بخلق الرجال لهنّ، ثم منّ على النوع بنعمة النسل في قوله: ﴿وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساء﴾ مع ما في ذلك من الاعتبار بهذا التكوين العجيب، والبثّ: النشر والتفريق للأشياء الكثيرة، ووصف الرجال، وهو جمع، بكثير، وهو مفرد؛ لأنّ كثير يستوي فيه المفرد والجمع، وقد تقدّم في قوله تعالى: ﴿وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير﴾"[4]. واستغنى عن وصف النساء بكثير؛ لدلالة وصف الرجل به ما يقتضيه فعل البث من الكثرة"[5].

(1) التحرير والتنوير: (260/10).
(2) النساء: 1.
(3) أبي السعود: (477/1).
(4) آل عمران: 146.
(5) التحرير والتنوير: (217/3).

الإيجاز بحذف جواب الشرط:

ومن الإيجاز بحذف جملة، حذف جواب الشرط، ويحذف كما قال الخطيب القزويني: "لأحد شيئين: أحدهما: أن يحذف لمجرد الاختصار. والثاني: أن يحذف للدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف، أو لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن، فلا يتصور مطلوبًا، مكروهًا إلا ويجوز أن يكون الأمر أعظم منه، ولو عين شيء اقتصر عليه، وربما حذف أمره عنده[1] .

وقد ورد حذف جواب الشرط في آيات القرآن، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ [2].

حذف جواب ﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾، وذلك لمجرد الاختصار، والتقدير: لصدقتموني.

"ووجدَانُ يعقوب ريح يوسف-عليهما السلام- إلهام خارق للعادة جعله الله بشارة له؛ إذ ذكره بشمه الريح الذي ضمّخ به يوسف عليه السلام حين خروجه مع إخوته، وهذا من صنف الوحي بدون كلام ملك مُرسل، والريح: الرائحة، وهي ما يعبق من طيب تدركه حاسة الشم، وأكد هذا الخبر بـ: "إنّ"، واللام؛ لأنه مظنة الإنكار، ولذلك أعقبه بـ"لولا أن تفندون"، وجواب "لولا" محذوف دلّ عليه التأكيد، أي: لولا أن تفندوني لتحققتم ذلك. والتفنيد: النسبة للفنَد بفتحتين، وهو اختلال العقل من الخرف"[3].

[و]" ﴿لَوْلاَ أَن تُفَنّدُونِ﴾، أي: تنسُبوني إلى الفند، وهو الخرفُ وإنكارُ العقل وفسادُ الرأي مِنُ هرمٍ، يقال: شيخٌ مفنّد، ولا يقال عجوزٌ مفنّدة، إذ لم تكن في شبيبتها ذاتَ رأي، فتُفَنّد في كِبَرِها، وجواب لولا محذوف، أي: لصدقتموني"[4].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا

(1) الإيضاح: ص: 219، 220.
(2) يوسف: 94.
(3) التحرير والتنوير: (52/7).
(4) أبي السعود: (138/3).

وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [1].

حذف جواب الشرط –هنا– إيجازًا واختصارًا، وترغيبًا في فعل الشرط، من قوله: ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا﴾.

"وجملة: ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ دليل جواب الشرط المحذوف المؤذن بالترغيب في العفو والصفح والغفر، فالتقدير: وأن تعفوا وتصفحوا وتغفروا يحب الله ذلك منكم؛ لأن الله غفور رحيم، أي: للذين يغفرون ويرحمون، وجمع وصف رحيم الخصال الثلاث"[2].

"والمعنى: ﴿وَأَن تَعْفُواْ﴾ عن ذنوبِهِم القابلةِ للعفوِ، بأن تكونَ متعلقةً بأمورِ الدُّنيا، أو بأمورِ الدينِ لكن مقارنةٌ للتوبةِ ﴿وَتَصْفَحُواْ﴾ بتركِ التثريبِ، والتعييرِ ﴿وَتَغْفِرُواْ﴾ بإخفائِهَا وتمهيدِ عُذرِهَا ﴿فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يعاملكُم بمثلِ ما عملتُم ويتفضلُ عليكُم"[3].

الإيجاز بحذف أكثر من جملة:

الإيجاز من ألطف ألوان البلاغة، وإن النظر إلى نوع منه، وهو الإيجاز بحذف أكثر من جملة، يجد الجمال والحسن، والرشاقة في التعبير، فيؤخذ في الحدث أو القصص أخذًا، ويسافر في المعاني والعبارات سفرًا طويلًا دون أن يجد عناء أو مشقة، وما ذلك إلا لحذف جمل كثرت، أو قلت، وانظر إلى ما ورد من هذا الحذف في آيات القرآن، ومن أحسن القصص تجد ذلك جليًا واضحًا، ومن ذلك في آيات القرآن قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ [4].

"أغنت جملة: "ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم" عن جمل كثيرة، وهي: أنهم ارتحلوا ودخلوا من حيث أمرهم أبوهم، ولما دخلوا من حيث أمرهم سَلموا مما كان يخافه عليهم. وما

(1) التغابن: 14.
(2) التحرير والتنوير: (285/13).
(3) أبي السعود: (139/3).
(4) يوسف: 68.

كان دخولهم من حيث أمرهم يُغني عنهم من الله من شيء لوْ قدّر الله أن يحاط بهم، فالكلام إيجاز، ومعنى: ﴿ما كان يغني عنهم من الله من شيء﴾ أنه ما كان يرد عنهم قضاء الله لولا أن الله قدر سلامتهم"[1].

"﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ من الأبواب المتفرقة من البلد، قيل: كانت له أربعةُ أبوابٍ، فدخلوا منها وإنما اكتُفى بذكره لاستلزامه الانتهاءَ عما نُهوا عنه ﴿مَا كَانَ﴾ ذلك الدخولُ ﴿يُغْنِي﴾ فيما سيأتي عند وقوعِ ما وقع، "عَنْهُمْ" عن الداخلين؛ لأن المقصودَ به استدفاعُ الضرر عنهم، والجمعُ بين صيغتي الماضي والمستقبل؛ لتحقيق المقارنةِ الواجبةِ بين جوابِ لما ومدخولِه، فإن عدمَ الإغناءِ بالفعل إنما يتحقق عند نزولِ المحذورِ لا وقت الدخول، وإنما المتحققُ حينئذ ما أفاده الجمعُ المذكور من عدم كونِ الدخولِ المذكورِ مغْنيًا فيما سيأتي فتأمل"[2].

وكذلك قوله: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ"[3].

"طوى ذكر سفرهم من بلادهم إلى دخولهم على يوسف عليه السلام إذ ليس فيه من العبر شيء"[4]، وإن كانت تفصيلاته كثيرة، فهو حذف لطيف جميل إذ القرآن الكريم يطابق بأعلى درجات المطابقة بين كلام ومقتضى حال السامعين.

"قيل: استقبله يوسفُ والملكُ في أربعة آلاف من الجند والعُظماء وأهلِ مصرَ بأجمعهم، فتلقّوا يعقوبَ عليه السلام وهو يمشي متوكئًا على يهوذا، فنظر إلى الخيل والناس، فقال: يا يهوذا، أهذا فرعونُ مصرَ؟ قال: لا بل ولدُك ، فلما لِقيه قال عليه السلام: السلامُ عليك يا مذهبَ الأحزان، وقيل: قال له يوسف: يا أبت بكَيتَ عليّ حتى ذهب بصرُك ألم تعلم أن القيامةَ

(1) التحرير والتنوير: (24/7).
(2) أبي السعود: (125/3).
(3) يوسف: 99.
(4) التحرير والتنوير: (55/7).

تجمعنا؟، فقال: بلى، ولكني خشِيتُ أن يُسلَبَ دينُك، فيُحالَ بيني وبينك"[1].

وقوله: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [2]، "كان مقتضى الظاهر في ترتيب الوصفين أن يقدم "الصالحات" على "الباقيات"؛ لأنهما وإن كانا وصفين لموصوف محذوف إلا أن أعرفهما في وصفية ذلك المحذوف هو الصالحات؛ لأنه قد شاع أن يقال: الأعمال الصالحات ولا يقال الأعمال الباقيات، ولأن بقاءها مترتب على صلاحها، فلا جرم أن الصالحات وصف قام مقام الموصوف، وأغنى عنه كثيرًا في الكلام حتى صار لفظ "الصالحات" بمنزلة الاسم الدال على عمل خير، وذلك كثير في القرآن، ولكن خولف مقتضى الظاهر هنا، فقدم "الباقيات"؛ للتنبيه على أن ما ذكر قبله إنما كان مفصولًا؛ لأنه ليس بباقٍ، وهو المال والبنون. فكان هذا التقديم قاضيًا لحق الإيجاز؛ لإغنائه عن كلام محذوف، تقديره: أن ذلك زائل أو ما هو بباق والباقيات من الصالحات خير منه، فكان قوله: ﴿فأصبح هشيمًا تذروه الرياح﴾ [3] مفيدًا للزوال بطريقة التمثيل وهو من دلالة التضمن، وكان قوله: "والباقيات" مفيدًا زوال غيرها بطريقة الالتزام، فحصل دلالتان غير مطابقتين، وهما أوقع في صناعة البلاغة، وحصل بثانيتهما تأكيد لمفاد الأولى، فجاء كلامًا مؤكدًا موجزًا، وتقديم المال على البنين في الذكر؛ لأنه أسبق خطورًا لأذهان الناس؛ لأنه يرغَب فيه الصغير والكبير والشاب والشيخ ومن له من الأولاد ما قد كفاه ولذلك أيضًا قدم"[4] أيضًا في اللسان العربي.

وقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [5].

(1) أبي السعود: (139/3).
(2) الكهف: 46.
(3) الكهف: 45.
(4) التحرير والتنوير: (333/7).
(5) القصص: 7.

"والأمر بإرضاعه يؤذن بجمل طويت، وهي أن الله لما أراد ذلك قدّر أن يكون مظهر ما أراده، هو الجنين الذي في بطن أم موسى ووضعته أمه، وخافت عليه اعتداء أنصار فرعون على وليدها، وتحيرت في أمرها، فألهمت أو أريت ما قصه الله هنا وفي مواضع أخرى.[و] جمع في آية واحدة خبرين، وأمرين، ونهيين، وبشارتين. فالخبران هما: ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾، وقوله: ﴿فإذا خفت عليه﴾؛ لأنه يشعر بأنها ستخاف عليه، والأمران هما: "أرضعيه"، و"ألقيه"، والنهيان: "ولا تخافي"، و "لا تحزني"، والبشارتان: ﴿إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾"[1].

(1) التحرير والتنوير: (10/73- 75).

الخاتمة

ومما سبق يتضح أن:

1- الإيجاز بالقصر موجود في آيات القرآن، والمتتبع لآيات كتاب الله -تعالى- يجدها مليئة بأصناف هذا الإيجاز البديع المعجز الذي حكى أنباء كثيرة في ألفاظ قليلة، من كتاب الله تُفهم بمرور السنين والأحداث.

2- من مواطن الإيجاز بالقصر-من وجهة نظري المتواضعة- الاحتمال، وهو أن يحتمل اللفظ معانيَ كثيرة مختلفة أو متفقة ولا مانع من أي من هذه الاحتمالات، فتحمل ويراد بها جميعها، ولم أر فيما وقع تحت بصري من أشار إلى هذا الموطن، وأرى أنه من أدق وجوه الإيجاز بالقصر في كتاب الله.

الإيجاز بالحذف في آيات القرآن كثير ومنه:

(1) أ- الإيجاز بحذف جزء جملة:

- من إيجاز بحذف حرف: سواء أكان هذا الحرف جارًا أو حرف نفي، أو حرف نداء، وهو كثير في آيات القرآن في نداء" رب" في الدعاء وطبيعة آيات القرآن التي تحتاج، بشدة إلى نداء الخالق تستدعي هذا النداء وحذف أداته لكثرة الاستعمال.

- ومن إيجاز بحذف كلمة: من حذف المبتدأ أو حذف الفعل، وهو كثير مع" إذ"، وحذف المفعول، وحذف متعلق الفعل، وحذف المضاف، وهو أكثر مواطن الحذف في آيات القرآن وأزعم أن حذف المضاف به ميزة خاصة سأذكرها لاحقًا، وحذف الموصوف، وحذف الصفة.

ب- والإيجاز بحذف جملة: ووجد منه الإيجاز بحذف جواب الشرط.

جـ- الإيجاز بحذف جمل كثيرة، وتفصيلات ليس في ذكرها فائدة، أو معلومة من خلال سياق الكلام.

(2) الغرض الأساسي لهذا الحذف الإيجاز والاختصار، ويتداخل معه إفادة العموم

أحيانًا.

(3) كل إيجاز بالحذف وجد ما يدل في الكلام على المحذوف.

(4) الإيجاز بحذف المضاف يدل على أن المقصود هو المضاف إليه ففيه إسقاط على المقصود، وهذا المقصود له دلالتان: دلالة على نفسه، ودلالة على المحذوف، فهو من أجل أنواع الإيجاز والإعجاز، بحذف جزء جملة.

ومن التوصيات التي توصلت إليها في هذا البحث:

- ضرورة البحث عن أغراض جديدة للحذف غير الأغراض التقليدية التي رست سابقًا.
- ضرورة البحث عن أوجه الاختلاف في دراسة الحذف بين البلاغيين والنحويين.
- البحث في سياقات الكلام لدراسة الأغراض النفسية للحذف.
- ولا أدعي أن هذا الموضوع جديد لم يطرق من قبل وإنما كتب فيه الكثير، ولكني أردت أن أبين ولو بلمحة جمالية واحدة في كتاب الله ربما تكون سببًا في تخفيف ولو جزء بسيط من عذاب الله الذي قال فيه: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾. اللهم أجرنا من خزي الدنيا وعذاب يوم القيامة.

تبت لأهم المراجع والمصادر

- ابن القيم، في الفوائد المشوق لعلوم القرآن الكريم، القاهرة، بدون تأريخ.
- ابن عاشور، محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، طبعة دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، بدون تأريخ.
- ابن عبد الوهاب، محمد بن عبد الوهاب مختصر زاد المعاد، طبعة دار الريان الطبعة الثانية سنة 1407هـ-1987م القاهرة.
- ابن هشام، في كتابه المغني، طبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة 1985م.
- أبو موسى، محمد أبو موسى خصائص التراكيب، طبعة مكتبة وهبة، مصر.
- أبي السعود، في تفسيره إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، طبعة دار الفكر.

- أبي حيان، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، في البحر المحيط، طبعة دار الفكر بيروت سنة 1413هـ. طبعة دار الفكر بيروت لبنان سنة 1413 هـ، 1992 م.
- الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني" ت 502 هـ"، المفردات في غريب القرآن، طبعة دار الخلق للتراث بمصر، بدون تأريخ.
- بدوي، د/ أحمد بدوي، في كتابه: من بلاغة القرآن، دار المعرف بمصر، 2006.
- الزمخشري، محمود بن عمر الزمخشري، في: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، طبعة دار الريان للتراث بالقاهرة، ودار الكتب العلمية بيروت، الثالثة سنة 1407 هـ، 1987 م. رتبه وضبطه وصححه/مصطفى حسين أحمد.
- السبكي، صاحب كتاب عروس الأفراح في شروح تلخيص المفتاح، وهو بهاء الدين أحمد بن على بن عبد الكافي السبكي الشافعي، أحد علماء القرن الثامن، توفي سنه 773 هـ.
- السيوطي، الحافظ جلال الدين السيوطي، في الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة المكتبة العصرية.
- طبانة، بدوي طبانة، في معجم البلاغة العربية، طبعة دار المنارة للنشر والتوزيع جدة، دار ابن حزم بيروت، الطبعة الرابعة سنة 1418 هـ، 1997 م.
- الطيبي، التبيان في البيان، لشرف الدين محمد بن عبد الله الطيبي، وتوفي سنة 743 هـ.
- الميداني، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني في كتابه، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، طبعة دار القلم بدمشق.
- القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن "ت 739 هـ"، في الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق ودراسة د/عبد القادر حسين، طبعة مكتبة الآداب بمصر سنة 1416 هـ، 1996 م.
- المطعني، عبد العظيم المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، رسالة دكتوراه كلية اللغة العربية بالقاهرة.

- الجديلي، ربحي عبد القادر الجديلي، في كتابه، مناهج البحث العلمي.